

التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ

الدَّرْسُ
23

أَهْدَافُ الدَّرْسِ

1. أَنْ أَتَعَرَّفَ التَّقْوَى وَوَسِيلَةَ الْحِفَاطِ عَلَيْهَا.
2. أَنْ أُدْرِكَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ التَّقْوَى وَالْخُلُقِ الْحَسَنِ.
3. أَنْ أَتَمَثَّلَ تَقْوَى اللَّهِ وَالْمُخَالَقَةَ الْحَسَنَةَ.

تَمْهِيدٌ

بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الرَّسُلَ دُعَاةً إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ حَقَّ التَّقْوَى وَالتَّحَلِّيَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ». [الموطأ]

فَمَا التَّقْوَى؟ وَكَيْفَ نَحَافِظُ عَلَيْهَا؟ وَمَا الْخُلُقُ الْحَسَنُ الَّذِي نُخَالِقُ بِهِ النَّاسَ؟

الْحَدِيثُ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». [سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ]

تَرْجَمَةُ الرَّاوي

أَبُو ذَرٍّ جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ الْغِفَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ
لِلْإِسْلَامِ، وَصَفَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا أَظَلَّتِ الْخُضْرَاءُ وَلَا
أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ». [سنن الترمذي] نَزَلَ الرَّبْدَةُ، وَتُوفِّيَ بِهَا عَامَ
وَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ.

مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَزْرَجِيُّ
الْمَدَنِيُّ الْبَدْرِيُّ، أَسْلَمَ وَسَنَّهُ لَا تَتَجَاوَزُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا،
وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ حَفِظُوا الْقُرْآنَ كَامِلًا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. عُرِفَ بِالْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالتَّصَدُّقِ،
وَتُوفِّيَ بِالشَّامِ عَامَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ.

الْفَهْمُ

الشرح:

اتَّقِ اللَّهَ: أَمْرٌ مِنَ التَّقْوَى، وَهِيَ: جَعْلُ الْعَبْدِ وَقَايَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ.
تَمَحُّهَا: تُزَلُّ آثَارُهَا وَإِثْمُهَا.
خَالِقِ النَّاسِ: عَامِلِ النَّاسِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ.

استِخْلَاصُ الْمَضَامِينِ:

1. مَا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»؟
2. مَا فَضْلُ إِتِّبَاعِ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ وَمُخَالَفَةِ النَّاسِ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ؟

التَّحْلِيلُ

يَشْتَمِلُ حَدِيثُ الدَّرْسِ عَلَى مَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّقْوَى فِي كُلِّ مَكَانٍ

يَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» أَيُّ: فِي أَيِّ مَكَانٍ كُنْتَ. وَسَبَبُ وَرُودِ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ الْغَفَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِقَوْمِهِ، فَلَمَّا رَأَى حُرْصَهُ عَلَى الْمَقَامِ مَعَهُ بِمَكَّةَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا...».

فَالْأَمْرُ مُوجَّهٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَالتَّقْوَى مَأْمُورٌ بِهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ، وَفِي أَيِّ مَجَالٍ، وَلَيْسَ فِي مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ دُونَ آخَرَ؛ فَالْمُسْلِمُ مَأْمُورٌ بِالتَّقْوَى فِي أَمَاكِنِ الْعِبَادَةِ، وَفِي الْمَنْزِلِ، وَالسُّوقِ وَالتَّجَارَةِ، وَالْعَمَلِ، وَفِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَفِي حَالِ الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالْفَرَحِ وَالْحُزَنِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ.

ثَانِيًا: الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ

بَعْدَ أَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّقْوَى أَمَرَ بِاتِّبَاعِ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ فَقَالَ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا»، حِفَاطًا عَلَى مُدَاوِمَةِ التَّزَامِ التَّقْوَى، وَعَدَمِ إِهْمَالِهَا فِي أَيِّ لَحْظَةٍ أَوْ فِي أَيِّ حَالٍ.

وَعَلَاقَتُهُ بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى: أَنَّ الْعَبْدَ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى، فَإِنَّهُ قَدْ تَحْصَلُ مِنْهُ غَفْلَةٌ، فَيَقَعُ فِي صِغَارِ الْمَعَاصِي، أَوْ يُقَصِّرُ فِيمَا تَوَجَّبَهُ التَّقْوَى، فَطُلِبَ مِنْهُ إِتِّبَاعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ؛ لِمَحْوِهَا وَتَرْزِيلِ آثَارِهَا، وَيُحَافِظُ الْإِنْسَانُ بِذَلِكَ

عَلَى تَقْوَاهُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ صَرَفًا لِلْإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَصَّىٰ﴾ [هود: 114].

وَالْمُرَادُ بِالْحَسَنَةِ مَا يَشْمَلُ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ، وَكُلَّ مَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ، كَالصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالتَّعَاوُنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْبَاتِ. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ». [صحيح مسلم]

ثَالِثًا: الْأَمْرُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَفَضْلُهُ

1. الْأَمْرُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ:

أَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمُخَالَقَةِ النَّاسِ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ، فَقَالَ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، أَيُّ: عَامِلِ النَّاسِ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ أَيْضًا بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ.

وَمِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مُعَامَلَةُ النَّاسِ بِالصِّدْقِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ، وَمُسَاعَدَةُ الْمُحْتَاجِ وَالضَّعِيفِ مِنْهُمْ، وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ وَأَهْلِ الْفَضْلِ مِنْهُمْ، وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ بِعَدَمِ الْكَذِبِ وَالْغِشِّ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَعَدَمِ الْاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ وَالِإِحْتِقَارِ لَهُمْ، وَعَدَمِ إِذَايَةِ الْجِيرَانِ...؛ فَالْأَمْرُ بِالْمُخَالَقَةِ الْحَسَنَةِ يَعْنِي التَّحَلِّيَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَتَرْكُ كُلِّ مَا فِيهِ أَذَى لَهُمْ.

2. فَضْلُ حُسْنِ الْخُلُقِ:

لِلْخُلُقِ الْحَسَنِ فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَأَجْرٌ عَمِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ فِي الدُّنْيَا

مَحْمَدَةً وَعِبَادَةً وَنَيْلَ لِمَحَبَّةِ النَّاسِ، وَفِي الْآخِرَةِ رَفْعَةً لِلْعَبْدِ وَثَقْلٌ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِقَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». [سنن الترمذي]

وَصَاحِبُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْرَبِهِمْ مَجْلِساً مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً». [سنن الترمذي]

وَحُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَخِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَجْزُونَ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، بَلْ يَغْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، وَيُحْسِنُونَ مَعَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ.

وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- أَنَّ التَّقْوَى وَحُسْنَ الْخُلُقِ قَرِينَانِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُنْقِيّاً وَسَيِّئَ الْخُلُقِ فِي آنٍ وَاحِدٍ.

- أَنَّهُ يَتَحَقَّقُ نَفْعُ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِالتَّحَلِّيِّ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي الْمُعَامَلَةِ.

- أَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ جَعَلَ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ؛ فَيَتُوبُ الْمُؤْمِنُ وَلَا يَسْتَبِدُّ بِهِ الْقَنُوطُ وَالْحَسْرَةُ.

- أَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ مَطْلُوبٌ مَعَ كُلِّ النَّاسِ، دُونَ تَفْرِيقٍ بِالنَّسَبِ أَوْ الدِّينِ أَوْ اللَّوْنِ أَوْ غَيْرِهَا.

التَّقْوِيمُ

1. مَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»؟
2. أُبَيِّنُ فَضْلَ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي الْآخِرَةِ، مُسْتَشْهِداً بِبَعْضِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ.

3. بِمَ أَنْصَحُ شَخْصاً نَدِمَ عَلَى مَا اقْتَرَفَ مِنَ الْمَعَاصِي؟

الْإِسْتِثْمَارُ

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (133) الَّذِينَ يُبْعَثُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظِ وَالْعَاقِبِينَ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا أَقْبَلُوا بِحِشَّةٍ أَوْ خَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا وَإِلَهُ نُوْبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَلَا يَفْلُحِ الْكَافِرُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (136) [آل عمران: 133-136]

1. أَسْتَخْرِجُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَاتُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تُعْتَبَرُ مِنْ أَوْصَافِ الْمُتَّقِينَ.
2. أُبَيِّنُ مِنَ الْآيَاتِ مَا يُؤَكِّدُ الْحَدِيثَ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا».
3. أَسْتَخْرِجُ فَضْلَ حُسْنِ الْخُلُقِ الْوَاردِ فِي الْآيَاتِ.

الْإِعْدَادُ الْقَبْلِيُّ

1. أَحْفَظُ حَدِيثَ الدَّرْسِ الْآتِي، وَأَقُومُ بِمَا يَلِي:
2. أَشْرَحُ: تُجَاهَكَ، جَفَّتِ الصُّحُفُ، تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ، مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ.
3. أُبَيِّنُ مَعْنَى حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّعَلُّقِ بِهِ، وَفَضْلَ ذَلِكَ وَثَمَرَتَهُ.